والثاني بالحمدلة وقد دلت رواية احمد في مسنده كل امر لا يفتتح بذكر الله فهو
أبتر او قال اقطع على ان المطلوب شرعا الابتداء باي ذكر كان وانما حمل المقيد على
المطلق لان المطلق اذا قيد بقيدين متنافيين تساقطا ورجع الى اصل الاطلاق
ومما يدل على الاطلاق ان كثيرا من الاعمال غير مفتتح بالبسملة والحمدلة كالصلاة
والحج وغير ذلك، والحمد لغة الثنا باللسان على الجميل الاختياري على جهة التبجيل
فالثنا جنس يشمل الوصف بمدح او ذم وباللسان بيان للواقع وتوطئة للفرق بينه
وبين الشكر وليخرج حمد الجماد الدال عليه قوله تعالى وان من شيء الا يسبح بحمده لانه
حقيقة شرعية وقيل المراد باللسان آلة النطق ولو غير معهودة فيدخل حمد
الجماد وعلى الجميل يخرج الوصف بالقبيح والاختياري يخرج ما لا اختيار للموصوف
فيه كحسن الوجه ورشاقة القد فان الوصف به يسمى مدحا لا حمدا واورد على
التقييد بالاختياري انه يخرج الوصف بالصفات الذاتية لله تعالى عن ان تسمى
حمدا لكونها قديمة واجيب عن ذلك بان التعريف لحمد المخلوق خاصة ويعرف حمد الله
بانه وصفه تعالى بصفاته وافعاله وبان المراد بالاختياري ما صدر عن المختار سوا
كان بالاختيار او بغير الاختيار وبان تلك الصفات الالهية مبدا للافعال
الاختيارية فالحمد عليها باعتبار تلك الافعال وهذا احسن الاجوبة الثلاثة
وعلى جهة التبجيل للبيان ودفع توهم دخول صورة التهكم في التعريف لا لاخراجها
بعد دخولها في الجنس لان الاستهزاء والتهكم ليس ثنا بالجميل اذ شرطه مطابقة
الاعتقاد والجوارح له والا كان تهكما فهو قوله تعالى ذق انك انت العزيز الكريم
وصف باعتبار ما كان فهو مجاز وهو لا يخرج عنه وحمد المخلوق عرفا فعل يقصد
به تعظيم المنعم من حيث انه منعم على الحامد او غيره سوا تعلق بالفضايل الذاتية كالعلم
ام بالفواضل وهي الصفات المتعدية كالجود وسوا كان باللسان بان يثني على
المنعم بالجنان ~~بـ~~ اتصاف المنعم بصفات الكمال وانه ولي النعمه ام بالاركان [بان يعتقد]
بان يداب في خدمته ● والشكر لغة هو الحمد عرفا وشرعا صرف العبد جميع
ما انعم الله به عليه الى ما خلق لاجله فهو اخص مما قبله فمورد الحمد اللغوي اللسان
وحده ومتعلقه يعم النعمة وغيرها ومورد الشكر اللغوي يعم اللسان وغيره
ومتعلقه النعمة وحدها والحمد بالجملة الاسمية ابلغ من صيغ الحمد لافادتها الدوام
والاستمرار ولدلالتها على اختصاص كل حمد بالله سبحانه فان اللام في الحمد
للجنس او الاستغراق واللام في لله للاختصاص او للاستحقاق فمعناها الثنا
على الله بكل حمد مختص به او ان كل حمد مستحق له فلا يكون مختصا به حقيقة
فلا يحمد غيره الا مجازا والمعنى على كون اللام للاستغراق ظاهر واما على كونها

الجنس

للجنس فوجهه ان ثبوت فرد من الحمد لغيره ينافي اختصاص الجنس به او استحقاقه
اياه اذ في ضمن الفرد يوجد الجنس وجملة الحمد خبرية لفظا قصد بها الثنا على
الله بمضمونها ويقصد من الله تعالى الاخبار بذلك للايمان به ● ومن الخلق الاول
بمضمونها وكذلك القول في الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم والشهادتين
حذف العاطف بين البسملة والحمدلة اشارة الى استقلال كل منهما بالابتدا اصالة
والعطف يقتضي التبعية او لان البسملة في التحقيق ثنا على الله تعالى بوصف جميل فبينهما
وبين جملة الحمد كمال الاتصال او شبهه وقيل غير ذلك ● الذي هدانا اي ارشدنا
ودلنا لان الهداية الدلالة على طريق الخير سوا وصل بالفعل ام لم يصل وعند
المعتزلة الدلالة بشرط ان يصل ونقض بقوله تعالى واما ثمود فهديناهم فاستحبوا
العمى على الهدى للاسلام اي لملة الاستسلام والانقياد لما امر الله به على لسان
رسوله صلى الله عليه وسلم وفسره النبي صلى الله عليه وسلم بشهادة ان لا اله الا الله وان
محمدا رسول الله واقام الصلاة وايتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت ان استطاع
اليه سبيلا ● واعلم ان من المقرر ان تعلق الحكم بالمشتق يؤذن بعلية الماخذ فكانه
قال الحمد لله لهدايته ايانا للاسلام فيكون حمدا واقعا في مقابلة نعمة فيثاب عليه
ثواب الواجب وانما خص الحمد بالهداية مع كون نعم الله على العبد لا تحصى لانها
اجل النعم الدنيوية لما تثمر من صفو المعرفة وبرد الرضى واساس النعم الاخروية
وقد قال تعالى حكاية عن اهل الجنة الحمد لله الذي هدانا الاية مع ما في ذلك من
افراد التوحيد والتبري مما قد يتوهم نسبته لاوصاف العبيد ● واهلنا اي جعلنا
بما اودع فينا من العقول والاحلام ومن به علينا من المعارف والافهام اهلا
لمعرفة اي ادراك ما شرعه اي سنه لنا وافترض علينا على لسان نبينا محمد صلى الله
عليه وسلم يقال شرع الله الدين شرعا اذا اظهره وبينه والشريعة في الاصل الطريق
الظاهر الذي تسلكه الابل عند ورودها الماء الجاري ● ثم استعمل شرعا فيما
يرادف الملة والدين فالثلاثة متحدة ما صدقا مختلفة مفهوما لان الجميع اسم لما جاء
به محمد صلى الله عليه وسلم عن الله تعالى لكن من حيث انه يقصد لانقاذ النفوس من
المهالك يسمى شريعة ومن حيث انه يدان اي يخضع له يسمى دينا ومن حيث
انه يجتمع عليه ويملى احكامه يسمى ملة ● من الاحكام جمع حكم وهو خطاب
الله [illegible] القديم المتعلق بافعال المكلفين ولا يخفى ما في هذا من براعة الاستهلال
وهي ان ياتي المتكلم في طالعة كلامه بما يشعر بالمقصود ● وافضل الصلاة
هذا انعطاف منه للشاعل الواسطة العظمى صلى الله عليه وسلم عملا بقوله
عليه الصلاة والسلام لا يشكر الله من لا يشكر الناس فان كل خير في الدين
والدنيا نالته الامة المحمدية منها بواسطة خير الخليقة والمكافاة لمن اسدى

Copyright © King Saud University